



عظة متروبوليت بيروت وتوابعها للروم الأرثوذكس

سعادة المطران الياس عودة

ألقى سعادة المطران الياس عودة عظة تاريخية يوم الأحد الموافق ٢٢/٤/٢٠٠٠ في كنيسة مار الياس في المصيطبة-بيروت انتقد فيها بشدة الوضع القائم، مركزاً على التعرض للطلاب، وهنا نص العظيمة:
"باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، آمين.

أيها الأحبة، نعيّد اليوم لإله المتواضعين والودعاء هذا الذي عرفناه إلهاً يقيم الموتى بعدما انتفت أجسادهم، يأتي اليوم الى أورشليم للعيد، لا بما رأيناه فيه من مجد وقوة وملك وألوهة، بل بصورة المتواضع. دخل أورشليم على جحش ابن أتان ليُظهر للناس تواضعه، وليكشف لهم قوة التواضع والوداعة، وليعلمهم انه سيموت من اجل الناس جميعاً، من اجل الإنسان، وهذا الموت سيعتق المأسورين بالضعف والخوف والموت. هذا الموت المحرر سيكون قدوة لكل من أراد أن يحب، لكل من عشق المحبة وشاءها له سبيلاً، لأن التواضع والوداعة وعاء مخافة الله. المتواضع إنسان يخاف الله، أي يعبده، يحبه ويعرف إن الله هو كل شيء وأنه هو لا شيء. لكن الله يسكب فيه كل غنى، يسكب فيه الحياة كلها. المتواضع إنسان يسير على درب الرب، يتمثل به إذ قال: "تعلموا مني، لأنني وديع ومتواضع القلب (متى ١١: ٢٩). تعلموا مني. فإذا شئتم أن تكونوا على صورة المسيح، انتم الذين لبستم المسيح، وإذا أردتم أن تحافظوا على العهد الذي قتمت به وعلى الوعد الذي ختمتم به في المعمودية، فيسوع هو قدوتكم، هو مثالكم، والمسيحي ينظر الى المسيح في كل عمل يقوم به، ويسمع المسيح في كل قول يقوله، ويتأمل في المسيح في كل فكر يشاء أن يطلقه للناس. التواضع إذا هو الطريق الوحيد الذي يرفعنا الى الله لان الرب يسوع قال: "كل من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع" (متى ٢٣/١٢). فالذين يرفعون نفوسهم اليوم هم في أسفل، عند الرب، أما الذين يرون علو الله وسموه فهم، يفضل رؤيتهم هذه، يتعالون ويرتفعون.

اليوم نعيد ليسوع كإله التواضع، كإله الوداعة، كرب المنسحقين والمتألمين والفقراء والمحزونين وكل إنسان يجد نفسه منزوياً ووحيداً. دخل يسوع اليوم أورشليم متواضعا ليقول لكل من وجد نفسه في هذه الحال: أنت لست وحيداً، أنا معك الى انقضاء الدهر. الفريسيون الذين هم صورة للمتكبرين والمتشامخين انزعجوا من الجموع التي كانت تسبح الله بصوت عظيم هاتفة "مبارك الآتي باسم الرب"، وقالوا ليسوع "يا معلم انتهر

تلاميذك" (لوقا ١٩: ٣٩). أرادوا أن يوبخ الناس على اعترافهم بالله. أجابهم يسوع: "أقول لكم انه إن سكنت هؤلاء فالحجارة تصرخ" (لوقا ١٩: ٤٠).

الحق لا يمكن أن نخفيه، الحق لا يستر. الحق يبقى في وضوح النهار. هؤلاء المنزعجون من الحق أرادوا أن يصمت التلاميذ، أن يسكت الذين يحبون الله ويحبون الحق ويرونه. كم أرى في هذا العيد الذي نحتفل به صورة لحال بلادي اليوم. بعض أبنائنا يطلقهم العدو، وبعض شبابنا يزجون في سجون الوطن. نحن نفرح لأحباء أطلقوا من سجون العدو ومن أسرهم، وكم نصلي من أجل أن يطلق الحاج مصطفى الديراني، ونتمنى أن يسعى كل إنسان قادر الى تحريره مع جميع الأسرى اللبنانيين، حيثما كانوا. الأسير أسير حتى لو كان مأسوراً في بيته. نصلي أن يطلق هذا الأخ الحبيب وجميع الاخوة والأحبة.

وقد آلمنا أن نسمع إن بعضاً من شبابنا سجن وبعضهم الآخر اسكت. دعائي وألمي الصارخ يقولان: لا تسجنوا الضمير في بلادي. لا تسكتوا الحياة في وطني. إن صمت الشباب، فمن يتكلم؟ لماذا يموت الشهداء؟ الجميع يتكلمون على المقاومة الباسلة. إذا كان الشهداء لا يموتون من أجل الحرية والديموقراطية، فحرام الدماء المهدورة، وحرام الموتى الشهداء. إذا كانوا لا يموتون من أجل أن يحيا هذا الوطن، فصلاتي أن يرحمهم الله رحمة عظيمة. هؤلاء الأحرار يموتون أحراراً حتى من الموت.

ما اسهل أن ننعت الشباب بالنعوت، وهذه ليست إلا علامة ضعف عميق. هل اصبح اللبنانيون إسرائيليين؟ لماذا إذا كل النعوت التي نلصقها بهم؟ أيراهم المواطنون بمنظار آخر؟ ما اسهل وسم وجوه الناس بشتى الوصمات! انه الضعف بعينه. انه الفقر الى الشجاعة بعينه.

يا أحبة، لمن يموت الأحرار؟ البلاد تدفن فيها الحرية؟ هل تستأهل بلاد تدفن فيها الحرية أن نموت من أجلها؟ هل تستحق بلاد نفتش فيها عن الديموقراطية أن نستشهد من أجلها؟ تجارة الأبواق والأفئعة هي التجارة الرائجة اليوم في بلادي. وإذا كشفتم الوجوه الحقيقية فترون وجوها مختلفة. ما اكثر المبوقين! من يغني لبنان إن خبت أصوات الشباب والأحداث؟ من يبث نبض الحياة في لبنان إذا صمت الشباب؟ العدو يحرر شبابنا ولبنان يدفن شبابه. ومن أعدارهم أن رجال الأمن جرحوا من شباب عزل، أي مزاح ثقيل!

لا تتأمروا على الشباب، فان فعلتم، فانتم تتأمرون على لبنان. يا أحبة ليتذكر كل زعيم، إن كان من زعماء في هذه البلاد انه إن كان يتحلى بصفات الزعامة والقيادة فقد اكتسبها من أيام الجامعة عندما كان يتظاهر ويعبر عن آرائه وتطلعاته؟ إذا أسكتنا الجامعيين فمن سيتكلم؟ الجهلاء أم الزبانية؟ اسمعوا ما يقوله الرب: "قد تمت فيهم نبوءة اشعياء القائلة تسمعون سمعاً ولا تفهمون، ومبصرين تبصرون ولا تتظرون لان قلب هذا الشعب غلظ، آذانهم ثقل سماعها، وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم" (متى: ١٣ ١٣-١٥). تخيلوا بشرا يغمضون عيونهم كي لا يروا. منتهى الجبن! لماذا يزعجهم الشباب؟ لأنهم دينونة لهم. تماماً كما الإنسان الصالح بين الأشرار يزعجهم.

أطلقوا الشباب ليبقى لبنان. نسمع بعض التهديدات الموجهة الى الشباب. مع احترامنا لكل الأصوات لبنان، لا يبقى إلا بشبابه". "اكتب إليكم أيها الشباب لأنكم أقوىاء وكلمة الله ثابتة فيكم" يقول يوحنا في رسالته الأولى

(١٤:٢). في كل صلاة نقيمها نحن نصلي من اجل حكام هذا البلد ومؤازرتهم في كل عمل صالح. نحن لا نصلي لهم من أجل أن يقوموا بأعمال لا يرضى عنها الضمير. ولن تقنعنا التفسيرات.

سمعت أخاً لي كبيراً وجليلاً تكلم قبل أيام على الانضباط. نحن بالتأكيد لسنا مع الفوضى ولكن هل يتم إصلاح والناس نيام أو جالسون على الكراسي؟ مع احترامي للانضباط، أتمنى أن يصحو كل الشعب. إيماننا ورؤيتنا ليسوع انه أتى ليخلصنا ولم يأت ليكم أفواهنا ويذيقنا الجوع والخوف، وقد ثار على كل ظلم وفساد. نحن نرحب بكل إنسان يعمل إخلاص ووطننا لكننا لا نقبل بمن يجوع البلاد. وشبابنا يهاجرون ونسمع الخطابات عن الهجرة. أخاف من نبوءة أخرى. عندما اقترب الرب الى المدينة (أورشليم)، بكى عليها وقل: "لو علمت أنت أيضاً حتى في يومك هذا ما هو لسلامك. ولكن الآن قد اخفي عن عينيك. فانه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمتراسة ويحدقون بك ويحاصرونك من كل جهة ويهدمونك وبنيك فيك، ولا يتركون فيك حجراً على حجر، لأنك لم تعرفي زمان افتقاد الله لك" (لوقا ١٩:٤٢-٤٤).

نحن لا نعرف متى يكلمنا الله لأننا ضائعون. الفريسيون والكتبة قالوا ليسوع: انتهر تلاميذك وليصمتوا. قال لهم إذا صمتوا فالحجارة ستتكلّم. إذا صمت الشباب فحجارة لبنان ستتكلّم، والتاريخ سيدين كل إنسان كم أفواههم.

شبابنا هم فخرنا ومستقبلنا. هم الأصدق فينا، هم الصادقون، هم العزل. معظم السامعين لن يكونوا مرتاحين وهذا يفرحني، لان الرب يزعج. عندما كان غبطة البطريك إغناطيوس الرابع أسقفاً مسؤولاً في البلمد لم يكن ينفك يقول لنا: أزعجوا بالحق، تحركوا، لان الشاب الذي لا يزعج لا روح شباب فيه.

لبنان غاف بمن يرتاحون في كراسيهم ونحن نسمع بلسان أحد المسؤولين إن الانتخابات معلبة، وكلنا نعرف ما على المزمع أن يترشح للنيابة أن يفعل، وكلنا صامتون إلا الشباب - شبابنا لهم الغد، شبابنا لهم لبنان. إذا قلتهم لهم اصمتوا كل ذرة من تراب لبنان ستصرخ: اصمتوا انتم واسمعوا ما يقولون ولا تنعتوهم بالعمالة. شبابنا لبنانيون حتى العظام والمساومة تغطي أموراً كثيرة، التاريخ سيفصح عنها حتماً.

يا شبابنا، نحن معكم ما دمتم في الشجاعة الحق والمواطنة الصادقة تدافعون عن لبنان وعن إنسان لبنان، ليبقى لبنان، كي لا يكون لقمة سائغة لمن يشاؤون جعله من الذبائح المرمية في معابد الوثن في العالم.

لبنان ينظر إليكم فأصغوا إليه ولا تخافوا. الله معكم ولو كان العالم كله ضدكم. الله يحرسكم وينجيكم. آمين".

